

وما من شك في أهمية دراسة اللهجات، لأنها تبرز خصائص اللغة وجمالياتها وأسراها، وحيوتها، وطرق اتساعها، وكيفية استجابتها لتطور الحياة وتولد الألفاظ والأصوات، وتسهم في فهم ظواهر اللغة وتفسر أسرارها، مما يعني أن دراسة أي لغة لا تكتمل إلا بدراسة لهجاتها.

واللغة كما هو معلوم نظام له قواعد وأصول تتسم بالثبات والاطراد غالباً، ويتكون هذا النظام من مستويات متنوعة، كالمستوى النحوي والصرفي، والصوتي والدلالي، والكتابي، والأسلوبي، وكل هذه المستويات مرتبطة ببعضها بعلاقات عضوية لا تكاد تنفصم، وإنما جرى تقسيمها تسهيلاً لدراستها¹⁷.

وقد تطال اللهجات جميع هذه المستويات، ففي المستوى الصوتي تشير المصادر اللغوية إلى بعض اللهجات في نطق الهمزة، وتجمع على أن تحقيق الهمزة من لهجات تميم وقيس وبني أسد، ومن جاورها، أي قبائل وسط الجزيرة وشرقها، وأن تسهيلها لهجة أهل الحجاز، فالقبائل التي كانت تحقق الهمز موعلة في البداوة، وأما قبائل التسهيل فكانت أكثر تحضراً، وبخاصة قريش في مكة، والأوس والخزرج في المدينة. وهذا يدل على أن تحقيق الهمزة وتخفيفها لهجتان منتشرتان بين القبائل العربية¹⁸.

وفي المستوى الصرفي أشاروا إلى تعدد المصادر للفعل الواحد كقولهم: "الرَّعْمُ وَالرُّعْمُ وَالرَّعْمُ ، ثَلَاثُ لُغَاتٍ : الْقَوْلُ ، زَعَمَ زَعْمًا وَرُعِمًا وَرُعِمًا... وَهُوَ الْقَوْلُ يَكُونُ حَقًّا وَيَكُونُ بَاطِلًا"¹⁹، وفي المستوى النحوي، على سبيل المثال، أورد النحاة أن إعمال (ما) عمل (ليس) لهجة الحجازيين، وإهمالها لهجة التميميين، وأما في المستوى الدلالي فيلاحظ كثرة الترادف والمشارك اللفظي، والأضداد بين الألفاظ، وهي ظواهر لغوية أسبابها لهجية²⁰. وهذه التنوعات اللغوية يمكن أن تكون ظواهر لهجية فشت بن الناطقين بالعربية في البيئات المختلفة في ذلك الوقت، ثم انتشرت فيما بينهم نتيجة للتواصل المستمر فيما بينهم.

¹⁷ أبو عمشة، خالد، تعالق المستوى الصرفي بمستويات اللغة الأخرى، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، دبي، أيار،

(٢٠١٤). ص 2

¹⁸ انظر: ابن يعيش، موفق الدين النحوي، شرح المفصل للزمخشري، ت: إيميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (2001).

ج 9 ص 107

¹⁹ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق. مادة زعم

²⁰ الراجحي، عبده، اللهجات العربية ص 195